أفغانستان (1)

أفغانستان ومقامها في الاستراتيجية الإسلاميّة

تاريخاً ومعاصرة

منذ أن أشرق نور الإسلام على مدينة (هرات) في زمن الخليفة الراشد (عثمان بن عفان) ﷺ . ثم أخذ يتغلغل في شتى أرجاء البلاد التي عرفت بعد بـ أفغانستان وأبناء هذه البلاد متشبثون بدينهم تشبتهم بأرواحهم يعبرون عــن ذلــك بكل الوسائل المستطاعة تبعاً للظروف والواجبات التي تداولهم عليها أيام الله .

لقد بايعوا الله –جلّ شأنه– منذ أن شرفهم الله بالإسلام أن يظلوا جنداً مخلصين لهذه الرسالة الخالــدة ، وكــانوا دائماً طليعة المجاهدين الذين فتح الله عليهم شبه قارة الهند ، وبذلوا النفس والنفيس طوال التاريخ وإلى يومنا هذا كي تظل راية الإسلام خفاقة على تلك البلاد .

إنّ تاريخ الإسلام في (الهند) ثم التاريخ المعاصر في (باكستان) يشهد لهم كيف كانوا يــسعون لينــالوا إحــدى الحسنيين .

إنهم –فضلاً من الله ونعمة– مسلمون مجاهدون يحرصون على دينهم وعلى مبادئه السامية ومثله العليا ، وعلــى الحياة الإسلاميّة العزيزة الكريمة .. لم يبخلوا بأرواحهم وأبنائهم في سبيل الذود عن عزة الإسلام وكرامة المسلمين .

إنّ الشعب الأفغاني عانى ويعاني كثيراً من الفقر والظلم لكنه لا يرضى بديلاً عن الإسلام ، ومهما أصابه من عنت وجوع ومرض فلا يردد إلاّ عبارة واحدة تتكرر على كل لسان هي : (ما دام الإسلام آمناً فنحن بخير) .

ومن أجل ذلك اختفت كلمة (الماركسية) تماماً من قاموس الحياة السياسية في أفغانستان و لم يجرؤ أحد من المنتمين إلى فرق اليسار أن يأتي على ذكر الكلمة علناً بالتلميح أو التصريح بل إنهم ينفون بصورة قاطعة أية علاقة لحركــاتهم بالماركسية .

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَــزَادَهُمُ اللَّــهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُــصْلِحُونَ ۞ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : 9–12] .

وجهاد أفغانستان في سبيل الاحتفاظ بشخصيتها وذاتيتها وتطهيرها من جنود الاحتلال مضرب الأمثال في العالم كله .

إنها لم تأخذ مقعدها الدولي في التاريخ الحديث كدولة مستقلة سياسياً استقلالاً تاماً إلاّ بعد الحرب العالمية الأولى لكنها لم تسمح للاحتلال أن يجد مكاناً على ربوعها .

لقد أخذت مقعدها كدولة مستقلة ذات سيادة كاملة عقب الحرب العالمية الأولى بعد معارك جهاد عنيفــة مــع القوات الإنجليزية في (الهند) ، وقد برزت وبرز شعبها في المنتظم الدولي تحت راية الإسلام متشبثاً بدينه منطلقاً مــن مبادئ الإسلام السامية ومثله العليا فخوراً بجهاده .

ومن هنا كان الصمود الراسخ للوجود الإسلاميّ أمام محاولات الردة والإلحاد والتسيب الاجتمــاعي والتحلــل الديني ، وكذلك أمام محاولات الزحف الشيوعي أياً كان وضعه أو لونه رغم الحدود الواسعة بين أفغانستان والــبلاد التي تسلط الاتحاد السوفييتي على حكمها من أوطان المسلمين التي كانت تعرف في التاريخ الإسلاميّ (ببلاد مــا وراء النهر) وهي (بخارى وسمرقند وازوبكستان) وسواها ذلك أن نهراً كبيراً يفصل بين أفغانستان وهذه المناطق لمــساحات طويلة .

تلك البلاد من أرض الإسلام الغالية التي ابتلعها الزحف الشيوعي والاحتلال الماركسي وقضى علــى اســتقلالها وشخصيتها الإسلاميّة ، تلك البلاد التي كانت موطن خيرة العلماء والباحثين .

كيف دخلت أفغانستان في الدوامات المعادية :

لقد كانت مطامع الاستعمار الإنجليزي في الهند ومطامع الماركسية في روسيا تتطلع في نهم إلى أفغانستان . ولكن الشعب الأفغاني ظل صامداً مجاهداً يأبى الضيم ويقضي على كل محاولة ، ويفتح أبواب بلاده مرحبة بالمجاهدين مــن مسلمي جيرانه المغلوبين على أمرهم .

ولقد فرّ من (بلاد ما وراء النهر) آلاف من أبنائها بدينهم وعقيدتهم إلى أفغانستان فوجدوا لهم أرضــاً ووطنــاً ومنحوا جنسية وحقاً وعاشوا مع أبناء أفغانستان إخواناً في الله متحابين .

ولقد زاد وجود هؤلاء الإخوة عزيمة الشعب الأفغاني على الصمود أمام الزحف الشيوعي فكراً وعملاً إذ رأى بهم وسمع منهم أخبار الأهوال التي أوقعها الحكم البلشفي في تلك البلاد مما قلّ أن عرفت الإنسانية له مثــيلاً في الظلــم والفتك والطغيان . وحرص الشعب الأفغاني على أن تقتصر العلاقات الأفغانية السوفيتية على ما لا بــد منــه مــن مجاملات حسن الجوار وتبادل التمثيل الدبلوماسي دون تقبل أي عرض من عروض روسيا السخية أو استعانة بخبرائها وعملائها في أي مجال .

واستمر الأمر كذلك إلى أن قامت دولة (باكستان) وقد حرص الاستعمار البريطاني على جعل ولادتهـــا محفوفـــة بالأخطار منذ البداية ملأى بالمشاكل والفتن التي تقض مضجعها وتمنع استمرارها وانطلاقها كدولة إسلامية ضـــخمة يمكن أن يكون لها شأن خطير في المجتمع الحضاري الإنساني .

وكان من ذلك اصطناع فتنة (شنونستان) و(بلوخستان) وتحريض العناصر التي غذتها الثقافة الأجنبيـــة بالأفكـــار القومية ، وطمست إيمانها بوحدتها الإسلاميّة إلى المناداة بإقامة دولة مستقلة في إقلـــيم (الحـــدود الـــشمالية الغربيـــة لباكستان) وفي إقليم (بلوخستان) المطل على الخليج وكلاهما متاخمان لأفغانستان وتقيم فيهما قبائل هي إما فروع أو أصول للقبائل في أفغانستان .

وكان الإقليمان ملحقين بالهند أيام الحكم البريطاني وعند تقسيم الهند وإجراء الاستفتاء اختار أبناؤها الانـــضمام إلى باكستان .

ولقد وجد الاتحاد السوفييتي بين دعاة القومية وهواة السيطرة والحكم فرصة متاحة ومجالاً لإشـــعال النـــار بـــين البلدين المسلمين أفغانستان وباكستان وهو في الأصل معارض لقيام باكستان وغير منسجم مـــع روح الـــشعب في أفغانستان فحاول أن يجد موطئاً لقدم على هذه البقعة من أرض الإسلام الطيبة لعله يستطيع بتخطيطه الماكر المثابر أن يوقد نيران الحرب ، ويفرض نفوذه ، ويصل إلى تحقيق حلم قديم بالوصول إلى المياه الدافئة والإحاطة بإيران وتمزيـــق باكستان وتحقيق الأطماع في منطقة الخليج المتربعة على كنوز البترول .

ووجد الاتحاد السوفييتي في الحكام المخادعين من أبناء أفغانستان أعواناً ، وبدأ تغلغله في البلاد باســـم القـــروض والمعونات الاقتصادية والعسكرية واستدرج أولئك واستغواهم بشتى الأساليب ففرطوا في صـــلابة أرضـــهم المؤمنـــة الصامدة في الوقوف أمام شتى أنواع الزحوف الشيوعية ، وفتحوا المجالات للخبراء الفنيين السوفييت الذين دربتـــهم مؤسسات الحزب الشيوعي على تأدية مهمتهم بشكل مضاعف مزدوج فكانوا ينشرون المبادئ الماركسية ويحـــاولون تجميع أكبر عدد ممكن من الشباب الأغرار عليها متسترين بمهماتهم الفنية والتقنية .

وعبر ملابسات وظروف طويلة اصطنع الاستعمار الإنجليزي في الهند والاتحاد السوفييتي الكثير منها بدأت سلسلة من الانقلابات منذ أكثر من خمسين عاماً ، وتكونت أخيراً في أجوائها غير الأخلاقية حركات وأحزاب بلا ديـــن ولا خلق ولا إيمان ذات تنظيمات سرية للتسليح والتدريب العسكري والانقضاض .

هكذا جرت الأحداث حتى كان الانقلاب على حكم الملك محمد ظاهر شاه في البلاد على يد من استُغوي مـــن بعض أركانه وتولى ابن عمه وزوج شقيقته (الأمير محمد داود) الذي استغواه الشيطان والـــذي حـــالف بالـــضرورة وبالغفلة المؤسسات الماركسية في البلاد متصدياً في ذلك لشعور الأمة وحركاتها المؤمنة المخلصة .

واستمر التغلغل الماركسي والتآمر السوفييتي بحرية أكثر وبمكر أخطر أيام حكم الرئيس محمد داود حتى انتهى إلى الانقلاب الأخير الذي قام به تجمع اليسار الشيوعي وائتلاف أجنحتها العسكرية بتدبير واضح فاضح من الــشيوعية الدولية ، فقتلوا حليفهم السابق (الرئيس محمد داود) وجميع أفراد أسرته حتى الشيوخ والنساء والأطفال وأمعنــوا في الفتك بالمتعاونين معه والمعارضين للشيوعية والمتشبثين بأصالتهم الإسلاميّة في مغالاة ووحشية عرفت بهــا الثــورات الماركسية في كل أرض قامت بها .

وقد نقلت وكالات الأنباء العالمية أن عدد الضحايا من رافضي هذا الانقلاب تجاوز في يومه الأول الواحد خمسة عشر ألفاً من الأبرياء فتكت بكثير منهم أيدي ميليشيا الحزب الشيوعي الآثمة التي كان دربت وسلحت سرا .

الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان